

صاحب البيت الضيف، حكت الزوجة لزوجها عن مصيبيتها وأخذت في البكاء (وهاب زاده ب. بياتي. - مجلة "العلم في الحياة"، ١٩٧٣، رقم ١). وعلى هذا النحو، لم تخرق الأسرة قواعد اللياقة الخاصة بكرم الضيافة، حيث أنها تعتبر هذه الضيافة مسئولية مقدسة، كما ترى أنه من المحظوظ تعكير صفو الضيوف.

وهكذا، فإن المادة التي قدمناها أعلاه تعد مثال واضح على كرم الضيافة الذي يتمتع به الأذربجانيين. وكل هذا ما زال متواصلاً حتى أيامنا هذه، لكنه أصبح يتطابق مع شروط الحياة المنزلية العصرية. ♦

الذى قاده إلى”， و”البيت بلا ضيف مثل طاحونة الماء بلا ماء”， و”الضيف يأتي بمفرده”， وصاحب البيت يشيعه”， و”لا تقول للضيف كل”， وغيرها من الأمثلة الأخرى (إنظر بالتفصيل: الأمثلة الشعبية. - باكو، ١٩٨١). إن التعبير عن الإحترام الخاص للضييف يتجسد في السطور التالية من الأساطير التي كتبها ب. وهاب زاده. ”في إحدى الأسر الأذربيجانية، كان صاحب البيت مشغولاً مع ضيوفه، وفي ذلك الوقت زحف الصغير الوحيد في البيت إلى الإناء الذي به ماء مغلى وسقط بداخله. وعندما شاهدت الأم ما حدث، لفت جثة صغيرها، وأخفتها وهي صامتة حتى غادر الضيوف البيت. وبعد أن شيع يتردد فيها سوى أصوات الغراء (أي الضيوف) (فلايمير تاتياشفيلى. بلاد كيش. صحيفة ”عامل باكو“، ١٩٢٧، وثيقة رقم ٣). وهناك برهان آخر على كرم ضيافة الأذربجانيين، يتمثل في نماذج الإبداع الشفهي الشعبي، والذي يعكس هذه العادة على نحو واسع. كما ينبغي الإشارة إلى الأمثلة الشعبية التي تحتوى على مادة ثرية تعكس كرم الضيافة. وعلى سبيل المثال: ”إن طاولة طعام الرجل المضيف لا تخلو أبداً من الطعام“، و” يأتي الضيف حاملاً معه الخير الوفير“، و”سوف أضحى بنفسي من أجل الضيف ومن أجل الدرب



الوجبات في وقت واحد يخلق نوعاً من الإرتباك، حيث يمكن للضيوف أن يختار في أولوية تناول تلك الأطباق. بالإضافة إلى ذلك، فإن كثرة الروائح الطيفية المتنوعة، يمكنها أن تفقد الضيف شهيته.

في أذربيجان كما كان في الماضي وكما هو الحال في الوقت الراهن، تسود العادة التي تقضى بدعوة الضيوف في ترتيب معين، فيدعون زيارتهم الأقارب ثم جيران صاحب البيت. وفي الماضي، عندما يغيب صاحب البيت لأسباب معينة، تقوم الزوجة أو أكبر من في البيت باستقبال الضيف.

وفي العادة يجتمع في المساء حول الضيف الأقارب وجيران صاحب البيت، وكذلك أقرانهم من نفس القرية، ويتحاورون لثلاث أو لأربع ساعات. وفي حال غياب الصحف الإخبارية، يعد الضيف حامل للأخبار، ويثير كل خبر يقوله إهتماماً كبيراً لدى الحضور.

وكنوا يخصصون للضيوف حجرة خاصة للمبيت (يضم كل بيت تقريباً في أذربيجان حجرة خاصة تسمى - المضيفة). وفي بعض الأماكن تخصص للضيوف حجرات خاصة تسمى "بالاخانا"، وتقع عند بوابة المدخل في الطابق الثاني، حيث يستطيع الضيف الصعود إليها مباشرةً، دون الإنقاء بأفراد أسرة صاحب البيت. وفي المضيفة تعلق سجادة الصلاة على الجدار، كي يستطيع الضيوف أن يؤدون صلاتهم. إن وجود البالاخانا، والعدد الكبير من أغطية الفراش يشهد مرة أخرى على الإنتشار الواسع لكرم الضيافة بين الأذربئيين. وإرتباطاً بهذا الأمر ينبغي التوقف عند مسألة أخرى. ففي الماضي كانت كل أسرة طبقاً لقدراتها تولى إهتمامها نحو النظافة والزينة في البيت "جوناج

في إنتاج الصوف، يمنعون الضيف الجوارب، والقفازات، والأحزمة وغيرها من المشغولات الأخرى.

ومن الطريف أنه في منطقة جوبا- خاتشان، وكذلك في إقليم إسماعيلية، يمنعون الضيوف ثمار الإيجاص المجففة المشبوكة في خيوط معًا مع المكسرات المقشرة ("ريسا")، وكذلك مربى التوت، ومربي التفاح وغيرها. كما يقوم مربيو الماشية بإهداء جبن الماعز، والجبن، والزبد وغيرها من منتجات الألبان.

وهناك عادات محددة حيث يقومون باستقبال الضيوف ودعوتهم إلى الطعام طبقاً لنتائج العادات. وفي التنظيم لهذه الأمور، يقوم كل شعب بتطبيق القواعد المميزة له. فكرم الضيافة لدى الشعب الأذري وإحترام الضيف، يعودان بجذورهما إلى أقدم العصور. ففي أذربيجان يرون أن الضيف لا بد وأن يتمتع بأفضل الأطعمة التي تقدم إليه مثل كتاب تيكيا، وكتاب تاس، ومختلف أنواع البلوف. كما يتم تقديمها مع مختلف أنواع السلطات والمشويات والمشروبات دون تقديم المشروبات الكحولية. وطبقاً للعادات وقبل تقديم طعام الغداء، يتقدم شاب صغير حاملاً إيريق ودلو، ويصب الماء للضيوف كي يغسلوا أيديهم، ثم يقدمون المناشف إليهم ليجفون أيديهم. وقبل تناول طعام الغداء يقدمون القهوة والنرجيلة لمن يرغب، ثم الشاي بالليمون والأنواع المختلفة من المربات. وعند تقديم الطعام يتبع نظام معين: فيقدم كل نوع من الطعام بالتناوب وبصورة منفصلة، حيث أن تقديم جميع الأكلات دفعة واحدة يعد أمر غير لائق. إن الإلتزام بهذه القواعد يحمل جانباً إيجابياً: فإذا لا يكون هناك فترات توقف بين تقديم كل وجبة، وتلك الفترات ضرورية للراحة وتبادل الآراء، وثانياً، فإن تقديم كل

والذي كان يسافر إليه ويحل ضيفاً عليه إما في الخريف أو في الربيع، وذلك عندما ينتهي العمل في جمع الفواكه (التفاح، الإيجاص وغيرها). ففي ذلك الوقت تعود الأسر من الحدائق. ويحمل أصحابها الفواكه الطازجة والمجففة باعتبارها هدية إلى صديقه. وبعد أن يقضى من ثلاثة إلى أربعة أيام ضيفاً عليه، يعود إلى البيت محملاً بدوره بالهدايا (المشغولات الصوفية، الزبد، اللحم، الجبن وغيرها).

وتوجد في الوثائق الإتنوغرافية الكثير من الشواهد على الأشكال الأخرى لكرم الضيافة. وبعد الانتهاء من جمع الفواكه والعنب، يقوم السكان الريفيون بدعوة الأقارب والجيران لزيارتهم، ويعرضون عليهم المحصول الذي جمعوه، ويتداولون معهم الخبرات والنصائح والأخبار الجديدة. وبعد ذلك تفرد الموائد الغنية بالأطعمة والمأكولات. وهذه العادة بين زراع الحدائق في أردوBAD تسمى "بستان بوزما". وهنا، خلافاً للمناطق الأخرى لا يكشفون للضيوف عن أسرار زراعة الأنواع الجديدة من الفواكه والخضروات. ويقوم كل مالك بستان بتعريف الضيف على الأنواع الجديدة من البطيخ والشمام. وفي نهاية إستقبال الضيوف، يقومون بدعوتهم إلى تناول الكتاب في المروج، ثم يرافقونهم عند خروجهم، وينحوونهم البطيخ والشمام من الأنواع الجديدة هدية لهم.

وطبقاً للعادات في أذربيجان، فهم لا يتركون الضيوف يغادر البيت بدون الهدايا التي يحملها معه. وبدوره، فإن الضيوف يحمل إليهم الهدايا هو الآخر. فعلى سبيل المثال في المنطقة التي يعملون فيها في زراعة الحدائق، يضعون في حقيبة الضيوف الفواكه المجففة والتفاح وغيرها من المنتجات الأخرى. وفي المناطق حيث يعملون



وطبقاً للمعلومات الإثنية، فقد أكتشف أن أحد ملامح كرم الضيافة لدى الآذريين هو - العدد الكبير لاغطية الفراش في البيت. وقد ذكر هذا الأمر في أحد المراجع التي تعود إلى أوائل القرن التاسع عشر. ونطالع في هذا المرجع: ”في منازل الأغنياء يمكن مشاهدة الجدران المنقوشة بالزخارف الملونة، والأسقف الخشبية المحفورة بالنقوش والمزينة بالألوان. أما كل ملامح الثراء الظاهر فهى تتكون من حشيات الريش، والوسائد، وغيرها من الأmenteة الحريرية، المطعمية بالخيوط الذهبية“ (استعراض الأماكن الروسية فيما وراء القوقاز، ١٨٣٦، الجزء ٤).

كان في باكو منصب خاص (مixinndar) لإستقبال الضيف. وعندما يدخل الضيف إلى البيت، تقوم فتاة صغيرة تضع خماراً على وجهها بخلع حذاء الضيف، وغسل قدميه بالماء الدافئ، وذلك طبقاً للعادات المتبعة.

وطبقاً للمعلومات الإثنوغرافية، فإن الضيف في أذربيجان ينقسمون إلى بضعة مستويات: الشخصيات الرسمية، والغرباء من الناس، والأقرباء، والضيف من نفس القرية أو المواطنين، والنساء اللاتي تتزاولن فيما بينهن، وغيرهم. وينبغي الإشارة إلى أن كل ساكن ريفي في القرى القرية أو النائية يتمتع بأصدقاء له (جوناج). وطبقاً للعادات، فإنهم يزورون بعضهم البعض في أوقات معينة (مرة واحدة في العام) بعد إنتهاء العمل في الحقول لفترة ٣ - ٥ أيام. وعندما نتناول حقائق محددة، وطبقاً لكلمات الرواوى نجف قيشى (من قرية ديرى تشيشى، إقليم جوبا)، فقد كان لدى جده في نهاية القرن التاسع عشر صديق يعيش في قرية تشومى الجبلية (في ذلك الوقت كانوا يطلقون على الصديق إسم ”جوناج“)،

فتسر إلى خلف الأولى بعض الشيء. ويسيّر مستقبلو الضيف مرتدین الأزياء القومية. ويرحبون بقدوم الضيف مرددين الأغانى، ويقدمون الشربات والخبز مع الملح. وعندما يدخل الضيف إلى البيت يفرشون تحت قدميه السجاد الجميل من نوع جوبا وقاراباغ وشيروان، وفوق السجاد يضعون حصير ترما- زارخار.

وطبقاً لعادة آخرى يقومون بذبح خروف عند أقدام الضيف، ثم يخطو الضيف عبر الحيوان الضاحية. ويقومون بتوزيع لحم الخروف على المحتججين. وفي إحدى وثائق منتصف القرن التاسع عشر، يجرى وصف إستقبال سكان شوشة للوالى العسكري لمدينة شماخى على هذا النحو: ”قبل الدخول إلى المدينة قاموا بذبح ثور أمامنا، ونشر دمه تحت حوافر خيولنا. أما لحم الثور المذبوح، فقد ذهبا به إلى الجامع لتوزيعه على الفقراء“ (رسائل من شماخى. قازان، ١٨٥٧، رقم ٥٦).

وطبقاً لما ذكره الرحالة التركى إ. تشيلبي فى القرن السابع عشر، فقد

ولننظر إلى مرجع آخر يعود إلى نهاية القرن ١٩: ”المسلم لا بد وأن يلبى كل طلبات الضيافة من الكرم والفاخمة، وهو يعترف بضرورة هذا الأمر“ (روسيا الرائعة، الجزء ٩).

إن الملائج (آمان إفليارى)، المبنية من أجل التائبين في الجبال، أو المتعبيين، والذين يتوقفون لقضاء لياليهم أثناء الطريق، والرُّحل، مازالت محفوظة حتى الآن في جبال أذربيجان باعتبارها من معالم البلاد. ويشهد هذا الأمر على أن الآذريين لم يتحلوا بكرم الضيافة فقط في بيوتهم، بل وخارجها حيث يقدمون المأوى لعابرى السبيل حتى في أقصى الأماكن البعيدة عن القرية.

وفي الواقع العرقى للأذريين، فقد ترسخت بعض الوسائل التقليدية لكرم الضيافة لدى إستقبال الضيوف الأعزاء وذوى الشأن الرفيع. فيجتمع الناس فى مكان محدد لاستقبال الضيف. وينقسم الناس إلى مجموعتين يترأس إحداهما الكبار منهم. أما المجموعة الثانية التي تتكون من العاملين في الدولة والموسيقيين والمطربين الشعبين،

شيروان، فيشير قائلاً: «إن أصول الضيافة لدى التتر (الأذريين) هي أمر مقدس: فالجميع يعتبرون أن واجبهم هو إستقبال الضيف بأفضل ما يكون (استعراض الأملالك الروسية فيما وراء القوقاز، ١٨٣٦، الجزء ٤).»

ومثل هذا الوصف لأصول الضيافة لدى سكان أبشيريون في أربعينيات القرن التاسع عشر، يوجد لدينا وصف تفصيلي في أعمال الشاعر - النثر - ق. بيريزين، والذي زار لاحقاً بوزوفنی (بيريزين ورحلة في أراضي داغستان وما وراء القوقاز. - قازان، ١٨٥٠، الجزء ١).

وحول أصول الضيافة المنشرة لدى الأذريين في النصف الأول للقرن التاسع عشر، يوجد لدينا وصف تفصيلي في أعمال الشاعر - النثر - ق. زاكيز (قاسم بك زاكيز. المؤلفات. - باكو، ١٩٦٤ (باللغة الأذربيجانية)). ولنقرأ بعضًا من هذه الأبيات: (يمكن التوفير في الزبد والأرز، ولكن ليس بالنسبة للضيف، فلا تدخل عليه بما لديك: لدى حجرة فاخرة للمبيت وما يكفي من البلوف - أكلة شعبية تعد من الأرز والجزر واللحم - لنقدمه إلى الضيوف).

وتتجدر الإشارة كذلك إلى وصف كرم الضيافة لدى محمود بك من شماخي، الذي تحدث عنه الكاتب الفرنسي العظيم ألكسندر دوما في منتصف القرن التاسع عشر. فكتب يقول أن بيت محمود بك؛ الذي دُعى إليه؛ كان يتميز بجمال يفوق البيوت الأخرى التي شاهدها في ديربنت وتفلisis. وكانت القاعة الشرفية لهذا البيت على درجة من الروعة والجمال حتى أنه؛ طبقاً لكلماته؛ لم تسعفه الكلمات للتعبير عن جمالها (إنظر بالتفصيل: ألكسندر دوما وأذربيجان. - صحيفة "أدبيات"، ١٩٨٤، ٨، يوليو).



الأرض: لم يسمحوا لنا بقضاء الليل في مأوى المسافرين القدر، بين الحوذين» (انظر بالتفصيل: سيسويف ف. م. الشعب التيوركي في أذربيجان في القرن ١٧ - باكو، ١٩٦٢).

وحول الضيافة الأذرية يوجد كم كبير من المعلومات الأدبية في مراجع القرن ١٩. وبعد إنضمام أذربيجان إلى روسيا أصاب الذهول والإبهار الموظفين الروس بعد أن تعرفوا على العادات والتقاليد الخاصة بالضيافة لدى السكان المحليين، ولهذا، فإن مؤرخى تلك الفترة وضعوا العديد من المعلومات حول هذا الأمر. ونرى أنه تتجدر الإشارة إلى بعض من هذه المراجع.

في واحدة من الوثائق الأرشيفية «وصف إقليم جوبا في عام ١٨٣٢، ف. ل. إشننتيكوف» نقرأ فيها: «من الجوانب الحميدة لديهم (يدور الحديث حول سكان إقليم جوبا) الإلتزام الصارم بقواعد دينهم، وأصول الضيافة، وتقديم الحماية والرعاية للهاربين من المطاردات» (تاريخ وجغرافية وإثنوغرافية داغستان في القرون ١٧ - ١٩، موسكو، ١٩٥٨).

وهناك مؤلف آخر يصف إقليم

أنطونى جينكينسون وأولوكوك، والذان وصلا للقيام بأعمال تجارية. ففي هذا الإستقبال جرى تقدير ٢٩٠ صنفاً من الأطعمة على الطاولة. وهذا ما كتبه أ. جينكينسون: «عندما اقترب موعد الغداء كانت المفارش تكسو الأرض، وقدموا مختلف الأطعمة التي بلغ عددها ١٤٠ صنفاً طبقاً لحسابي. وعندما رفعوا الأطباق عن المفارش أحضروا غيرها من الأطعمة التي بلغ عددها ١٥٠ صنفاً، بالإضافة إلى الفواكه وغيرها من الأطعمة الفاخرة، وهكذا، تم تقديم ٢٩٠ صنفاً من الطعام خلال الفترتين المتعاقبتين» (الرحالة حول أذربيجان. - باكو، ١٩٦١، الجزء ١).

إن العالم الألماني كيمبفير، الذي زار في أوائل عام ١٦٨٤ أذربيجان، كان قد زار معبد عبادة النار في سورخان، ودعى كى يحل ضيفاً على سكان قرية بين. وها هو ما كتبه حول هذا الصدد: «عند حلول المساء قمنا باستغلال كرم الضيافة في القرية المجاورة بون (يفترض سيسويف ف. م. أن هذه القرية هي قرية بين حالياً). وهنا كان في انتظارنا السكان المرحبيين بنا الذين استقبلوننا في بيوتهم، وقد وضعوا الأبسطة فوق



أى عقيدة أخرى) (الكلمات الحكيمه.-
باكو، ١٩٧٩).

لقد كان الآذريون يتمتعون بالحرص الشديد والإهتمام واللطف في علاقتهم بالضيف. وكانت الضيافة الأذرية معرفة في تلك الأوقات في الشرق الأدنى وروسيا. وتحكي لنا المراجع عن كرم ضيافة بطرس الأول في ديربنت، وإستقبال الأمير دولجوروك في باكو وساليان واستقبال الوالي العربي لمدينة شماخى في شوشة، وأ. بيسنوجيف في جوبا، وم. يو. ليرمانوف في جوصار، واستقبال البروفسور في جامعة قازان إ. بيريزين في بيت أ. باكيخانوف إلخ..

ويتجسد المثل الرائع لحسن ضيافة الآذريين في الاستقبال الذي أعده أمير شماخى الخان عبد الله في القرن ١٦، على شرف المبشرين الإنجليزيين

«الجد كُركوت»، حيث يجري الحديث قائلاً: «فلتهلك البيوت التي لا يدخلها الضيوف» (الكلمات الحكيمه.- باكو، ١٩٩٧).

وحول طقوس الضيافة في أذربيجان توجد معلومات في الآثار الأدبية للقرن الثاني عشر. ويتحدث الشاعر العظيم نظامي في عمله «ملحمة الإسكندر» حول إستقبال الإسكندر في قصر نوشاب في باردي، ويكتب عن مظاهر الزيارة الرائعة التي أقيمت على شرف الضيف (إنظر نظامي غنجاوي. ملحمة الإسكندر.- باكو، ١٩٨٣).

وقد وجدت الضيافة لدى الآذريين إنعاكساً لها في أعمال فيزولى (القرن ١٦): «لو أتى الضيف إلى طاولة طعامى فلن يصيبني الخجل من مجئه، بصرف النظر عن كونه من الترك أو العرب أو من أصحاب

بعض البلدان مثل: داجستان، وشمال القوقاز، وسوريا، والبلدان العربية وغيرها، كانت الضيافة تعد أمر مقدس إلى درجة أنه في حال وصول عدو لدود إلى البيت، يقوم صاحب البيت بإستقباله ومرافقته طبقاً لقواعد كرم الضيافة، وتكون حياة العدو آمنة غير مهددة طوال تلك الفترة (حول عادات الضيافة لدى الشعوب الأخرى إنظر: قوليف ج.أ. الضيف والضيافة.- مجلة «العلم في الحياة»، ١٩٧١، رقم ٤).

كذلك كان لدى الآذريين منذ العصور القديمة عاداتهم المجلة والشيقه في كرم الضيافة، والتي تتطابق حتى مع متطلبات اليوم.

وأول وثيقة مكتوبة تقع في حوزتنا حول الضيافة لدى الشعب الآذري، يمكن مطالعتها في ملحمة

حسن قوليف،
دكتور العلوم التاريخية والبروفيسور.

الضيـف - شخص مقدس

ما الذى نعرفه حول عادات
الضيافة لدى الآذريين؟

تعود عادات الضيافة إلى جذور تاريخية عميقة وتميز بها كل شعوب العالم.

وبالإضافة إلى العادات التي يتمتع بها كل شعب، فهناك ما يميز كل من تلك الشعوب، من طقوس الضيافة وقواعد إستقبال الضيوف وزيارة الأصدقاء.

وتضرب طقوس الضيافة بجذورها بعيداً في المجتمع البدائي، مثل عادة منح المأوى لمن تخلف عن القبيلة، ولمن يحتاج إلى الحماية، ولمن ضل الطريق، وللرحلة. ففي تلك الأزمنة المتميزة بضعف الصلات بين القبائل، كان كل ضيف يعد حامل وناقل للمعلومات، فيجري إستقباله بالتقدير اللازم. وفي عهد هومير في اليونان، كان جميع الوافدين من الأماكن الأخرى يدعون من المتمتعين بحماية زيوس (الموسوعة الكبرى - سان بطرسبرج، ١٩٠٢، الجزء ٧). وفي

